حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإِسلاميِّ والوسيط

٦

الهيئة المصرية العامة للكتاب

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإسلاميِّ والوسيط

مجلة سنوية محكمة تعني بالتاريخ الإسلامي والوسيط

يصدرها سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط

بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية

حقوق الطبع محفوظة

للهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب

١٨٧٥٠

الترقيم الدولي

١٤٤٠هـ/٢٠١٨م

قطعة ٤ بلوك ٧ ـ المنطقة التاسعة ـ شارع د. رؤوف عباس ـ مدينة نصر ـ القاهرة

تليفون : ٠١١٢٧٣٨٩١٢ ـ ٢٤٧٢٨٢٩٤ ـ ٢٤٧٢٨٢٩٦ ـ فاكس : ٢٤٧٢٨٢٩٨

Email: Seehist1995@yahoo.com

الهيئة المصرية العامة للكتاب

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ
التَّاريخِ الإسلاميِّ والوسيط

تُصْدرها

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

المراسلات : الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد

رئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

العدد السادس

القاهرة

٢٠١٨م

رئيس مجلس الإدارة أ. د/ أيمن فؤاد سيد

هيئة التحرير

رئيس التحرير أ. د/ حسين عبد الله مراد
مدير التحرير د/ محمد فوزي رحيل
المحررون : أ. د/ صلاح عاشور
أ. د/ عبير زكريا سليمان
د/ عبد الناصر عبد الحكم
أ.د/ نهلة أنيس مصطفى

الهيئة الاستشارية

أ.د/ إسحق تاوضروس عبيد
أ. د/ أيمن فؤاد سيد
أ.د/ حاتم عبد الرحمن الطحاوي
أ.د/ عفاف سيد صبرة
أ.د/ محمود إسماعيل عبد الرازق
أ.د/ يسري أحمد زيدان

الآراء الواردة بهذه المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ،
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الجمعية أو السمنار أو الناشر

شروط النشر

ـ أن يكون الباحث عضوًا في الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .

ـ أن يتسم البحث بالأصالة المنهجية العلمية ، والجدة في الموضوع .

ـ أن يكون البحث صحيح اللغة سلس الأسلوب واضح الدلالة .

ـ ألا يكون قد سبق نشره ، أو قُدِّمَ للنشر إلى جهة أخرى ، وألا يكون مستلًّا من رسالة علمية .

ـ ألا تزيد صفحات البحث عن ٣٠ ورقة .

ـ أن يكتب المتن بخط Simplified Arabic بنط ١٤ ، والعنوان الرئيس بنط ١٨ Black ، والعناوين الجانبية بنط ١٤ Black .

ـ الحواشي:

= الحواشي العربية بنط ١٢ Simplified Arabic حسب النظام المعمول به في هذا العدد .

= الحواشي اللاتينية بنط ١٠ Times New Roman حسب النظام المعمول به في هذا العدد .

ـ أن تذكر المعلومات الببلوجرافية للمصادر والمراجع كاملة عند أول ذكر لها في الحواشي ، استغناءً عن قائمة المصادر والمراجع .

ـ يسلم عدد ٢ نسخة ورقية من البحث لمقر الجمعية بمدينة نصر خلف مدرسة المنهل ، وترسل نسخة إلكترونية لمدير التحرير الدكتور/ محمد فوزي رحيل على البريد الإلكتروني raheela2010@gmail.com

ـ تحكيم البحوث يكون سِرِّيًا ، بمعرفة هيئة تحرير المجلة .

كلمة التحرير

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه . يسعد هيئة تحرير حولية سمنار ، التاريخ الإسلامي التي يصدرها سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية أن تقدم للقراء الكرام العدد السادس ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م من الحولية ، وهي الحولية التي أسسها الراحل المؤرخ الجليل الأستاذ الدكتور علي السيد علي ـ رحمه الله ـ عام ٢٠١١م . ويضم هذا العدد بين دفتيه أحد عشر بحثًا ، تطوف بنا عبر فرعَي التاريخ الإسلامي والوسيط؛ إذ يلحظ المطالع لبحوث العدد تنوع الدراسات المقدمة بين فرعَي التخصص ، كتبها مجموعة من الباحثين المجيدين من مختلف الجامعات المصرية ، وافتتح العدد بمقال حول العطاء العلمي لمؤسس السمنار أ .د/ علي السيد علي ـ طيب الله ثراه ـ بعنوان «علي السيد رائد دراسات الحرم القدسي الشريف» ، وبدءًا من هذا العدد تنوى أسرة التحرير افتتاح الأعداد القادمة بمقال حول سيرة أحد رواد تخصص التاريخ الإسلامي والوسيط الراحلين أملًا في حفظ سير هؤلاء الأعلام حتى تكون قدوة ونبراسًا لأجيال قادمة من المؤرخين .

وترحب أسرة السمنار بالمتخصصين في التاريخ الإسلامي والوسيط للمشاركة في جلسات السمنار الشهرية ، بإلقاء بحوثهم بشرط الأصالة المنهجية وجدة الموضوع ، ومن يرغب في نشر بحثه في الحولية سوف يقدم للتحكيم السري بمعرفة هيئة التحرير ، وما يجاز منها ينشر في الأعداد التالية إن شاء الله . كما يرحب السمنار بجميع المتخصصين والمهتمين بمختلف فروع التاريخ لحضور الجلسات لإثرائها بالنقاش المُثمر .

ويطيب لأسرة التحرير تقديم أسمى آيات الشكر والتقدير لمجلس إدارة الجمعية برئاسة المؤرخ الجليل والمحقق الكبير الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد ؛ لجهودهم الدؤوبة لازدهار الجمعية المصرية للدراسات التاريخية لتظل في صدارة الجمعيات التاريخية العربية .

والله من وراء القصد والهادي إلى سواء السبيل،،،،،،

أسرة التحرير

المحتـويات

الصفحة

على السيد علي رائد دراساتُ الحرمِ القدسيِّ الشريف
محمد فوزي رحيل ١١-١٦

أسرةُ ثيوفلاكت ودورُها السياسيُّ والدينيُّ في روما
محمد زايد عبد الله ١٧-٥٠

مكتباتُ الأديرة في ضوْءِ التيبيكا البيزنطيةِ
نعيمة محمد إبراهيم ٥١-٨٦

سفاراتُ العلماءِ في العصرينِ الغزنويِّ والسلجوقيِّ
مرفت رضا ٨٧-١٣٠

الوشايةُ وأثرُها في البلاطين المرابطيِّ والموحديِّ
أحمد إبراهيم رفاعي ١٣١-١٤٨

دولةُ الخطَا في الصينِ وتركستانَ وكرمانَ
عبد الناصر إبراهيم عبد الحكم ١٤٩-١٨٢

ادعاءُ النبوةِ في مصر والشامِ عصر سلاطينِ المماليكِ
محمود عبد المقصود ثابت ١٨٣-٢١٨

الكلابزيةُ في عصرِ سلاطينِ المماليكِ
أحمد عبد الله أحمد ٢١٩-٢٤٤

قراءةُ الجوقِ وقراؤها في مصَر خلال القرنينِ ٨-٩هـ
محمد جمال حامد الشوربجي ٢٤٥-٢٦٨

المجددونَ والتاريخُ الإسلاميِّ (الإمام محمد عبده نموذجًا)
حسام عبد الظاهر ٢٦٩-٣٠٢

صورةُ صلاحِ الدينِ في السينما الغربيةِ بينَ الحقيقةِ والخيالِ
فتحي عبد العزيز محمد ٣٠٣-٣٢٣

صورة صلاح الدين في السينما الغربية
بين الحقيقة والخيال

فتحي عبد العزيز محمد

ملخص البحث

اهتمت السينما العالمية منذ ظهورها باستلهام موضوعات أفلامها من التاريخ لما به من دراما تمثلت في أحداث وشخوص لها أثرها في مسيرة الإنسانية، وتزايد ذلك الاتجاه في استجلاب الماضي دون رابط أو ضابط ودون رقيب. وبدأ جدل مازال مستمرا إلي الآن بخصوص الأفلام التاريخية حول دور المؤرخ تجاه الفيلم التاريخي، وبيان الحقيقية من الخيال في تلك الأفلام وخاصة أن بعضها بعد عن المصداقية وأمعن في الخيال. ولعل قلة الأفلام التاريخية العربية كانت وراء انصراف المؤرخ العربي عن مثل ذلك الجدل إلا قليل حيث توجد بعض المحاولات الجادة في هذا الشأن.

وتهدف هذه الدراسة إلي تبين الصورة التي كرست لها السينما الغربية فيما يخص السلطان صلاح الدين الأيوبي في عدد من أفلامها وهي لاتزيد عن أصابع اليد الواحدة، وسنعرض لها في إطار البحث بشكل موجز.

كما تهدف الدراسة إلي تبين مدي التشويه الذي تعرضت له صورة ذلك البطل المسلم عن عمد في بعض الأحيان وعن جهل بحقيقة التاريخ في بعضها الآخر.

أيضا تهدف الدراسة إلي طبيعة الرسالة التي تحاول السينما الغربية إيصالها من

خلال تناولها سيرة شخصية لها قدرها ودورها في الصراع الذي دار علي مدي قرنين من الزمان فيما عرف بالحروب الصليبية. ولعل الرسالة تجاوزت شخص صلاح الدين ذاته لينسحب أثرها علي أبناء المنطقة العربية في تلك الآونة. وأجد من الضروري هنا التنوية إلي قلة الأفلام التاريخية العربية بصفة عامة وقلة ما تم انتاجه عن صلاح الدين بصفة خاصة وهو فيلم وحيد للمخرج يوسف شاهين وهو فيلم له قيمته في حقبة الستينات وكان يكرس للقومية العربية وهذا شأن آخر وإن كنت أري ضرورة بيان الصورة لتكتمل الرؤية حول بطل تاريخي طاله ماطاله من تشويه وظلم وعلي فترات متباعدة علي الجانبين العربي والغربي . والله ولي التوفيق.

* * *

دأب صناع السينما في الغرب وخاصة في هوليوود بالولايات المتحدة الأمريكية منذ البدايات علي اتخاذ التاريخ مادة لأفلامهم، فهو أحيانا صلب العمل السينمائي أوبيئة لأحداث الفيلم أو قد بكون خلفية للحدث السينمائي ، وظهرت مجموعة من الأفلام الضخمة الانتاج عرفت بالأفلام التاريخية. ويعد فيلم «ميلاد أمة» للمخرج د.و. جريفيث أول عمل تاريخي سينمائي وهو يصور إعادة إعمار الجنوب الأميريكي بعد الحرب الأهلية وقد انتج عام ١٩١٥[1].

وقد تزايد انتاج الأفلام التاريخية منذ ذلك التاريخ بشكل مطرد ، ومع تزايد ذلك الاتجاه في استجلاب الماضي دون رابط أو ضابط ودون رقيب قام المؤرخ الأمريكي لويس جوتشالك من جامعة شيكاغو في عام ١٩٣٥ بتوجيه رسالة إلي رئيس شركة مترو جولدين ماير بهذا الخصوص جاء فيها «إذا كانت السينما ماضية في طريق اشتقاق موضوعات أفلامها من التاريخ بهذا السخاء فإن علي القائمين عليها ومن أجل مثلها العليا توخي الدقة التاريخية بقدر كبير وينبغي قبل أن تعرض

(1) R. F. BERKHOFER Jr., *Fashioning History*, p.175.

أعمالها بشكل جماهيري أن تعرض علي مؤرخ مرموق حتى يتاح له نقدها وتنقيحها[١] ». ليبدأ عقب تلك الرسالة ونتيجة لها جدل مازال مستمرا حول دور المؤرخ تجاه الفيلم التاريخي ، بل تحديد ما هو الفيلم التاريخي ، وبيان الحقيقة من الخيال في تلك الأفلام وخاصة أن بعضها بعد عن المصداقية وأمعن في الخيال[١] .

لقد اعتبر المؤرخون أن ما يقدم علي الشاشة من أفلام تاريخية هو سوء استخدام للتاريخ ، وقامت شكواهم علي أساسين الأول أن الفيلم التاريخي ليس أكثر من قطعة من التاريخ المكتوب نقلت إلي الشاشة وبالتالي فهي تخضع لنفس القواعد التي يتبعها المؤرخون. والأساس الثاني أن التاريخ ليس أكثر من حقيقة وأن الأمر لا يعدو أكثر من تجميع منظم للوقائع التاريخية[٢].

ويبدو أن ظهور الفيلم التاريخي ـ أيا كان الشاكلة التي يتناول بها التاريخ ـ قد أربك المؤرخين لماذا ؟ يري روبرت أ. روزنستون ، وهو مؤرخ معروف ترك العمل

---

(1) ROBERT A. ROSENSTONE, «The Historical Film: Looking atthe Past in a Postliterate Age», in *The HistoricalFilm: HistoryandMemory in Media*, edited byMarcia Landy, (New Brunswick, New Jersey: Rutgers University Press, 2001): p.50-66.

(١) حول هذا الجدل وموقف المؤرخين من الفيلم التاريخي ظهرت عدة دراسات خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية ومنها MARNIE HUGHES-WARRINGTON, *History Goes to the Movies Studying history on film*, Routledge. USA, 1972; MARCIA LANDY, *Cinema and Counter-History*, Indiana University Press. (2015)., MRAZ AND RAYMOND TRACY, *Classroom Production of an Historical Film Essay: Reflections and Guidelines, The History Teacher*, Vol.7, No. 4 (Aug., 1974), pp.540-551 Published by: Society for History Education; ROBERT F. BERKHOFER, Jr, Films as Historical Representations and Resources, in, *fashionating history*, ny 2008; ROBERT BRENT TOPLIN, *Reel History : In Defense of Hollywood* (Lawrence : University Press Of Kansas, 2002).

(2) ROBERT A. ROSENSTON, J.F.K. «Historical fact Historical Film», in *American Historical Film Review*, U.S.A. April 1992., p.506.

الأكاديمي وتفرغ للعمل في مجال الأفلام التاريخية كمستشار وناقد ، أن المورخين سيقولون أن الأفلام التاريخية غير دقيقة ، إنها تشوه الماضي ، و تزور التاريخ بتحويلها الشخصيات الهامة والأحداث الكبري إلي شئ خيالي تافه أو رومانسي ، كما أن الأفلام وفق احتجاج المؤرخين لا تخضع لسيطرتهم ، بل تظهر الأكاديميين علي أنهم لا يملكون الماضي ، كما أن الفيلم يخلق عالما تاريخيا لا يمكن للكلمة المكتوبة منافسته علي الأقل بالنسبة للجمهور ، أكثر من ذلك يزيد الفيلم من الأمية المعرفية لأن المتعلمين يتكاسلون بل ويعرضون عن قراءة التاريخ المكتوب[1].

أيا ما كان الأمر ، فإن تخوف المؤرخ الأكاديمي تجاه انتاج الأفلام التاريخية لم يمنع صناع السينما من مواصلة انتاج المزيد من الأعمال. ويثور تساؤل حول الأسباب التي دفعت بالسينما الغربية وخاصة هوليوود لاتخاذ التاريخ مادة لأفلامها؟ لعل السبب الأول يكمن في حجم الدراما التي يغص بها التاريخ ، حيث تنوع الأحداث والشخصيات وثراؤها بالمتناقضات وهي بذلك زعيمة أن تجذب رواد السينما فيضمن صناع الفيلم جمهورا عميما وهم بالفعل، كذلك لما يمثله التاريخ من مكانة ومتعة لديهم.

السبب الثاني هو لدي صناع الفيلم انفسهم حيث يأتي تقديم موضوع معين في وقت بعينه بشكل مقصود بغرض إيصال رسالة للمشاهد وفق أجندة القائمين علي تلك الصناعة ، فالعمل يحمل رسالة تستهدف خدمة غرض قومي ما مثل تأصيل قيم الوطنية أو السلام أو الإعداد والتهيئة لجو يناسب المرحلة أو ما بعدها مثلما في أوقات الحروب أو التهديد بها ، أو لهدم صورة بطل قومي لشعب ما مثلما فيلم جيفارا الذي أساء إليه كثيرا وبشكل متعمد. ولكن الأمر الأخطر تعمد تشويه صورة أمة بأسرها،وهو ما تقدمه السينما العالمية من صورة نمطية سلبية لأمة أو

---

(1) ROSENSTON, *The Historical Film as Real History,* p.1.

شعب بعينه كالاتحاد السوفيتي القديم إبان حقبة الحرب الباردة وما يقدم عن العرب. وفي هذا الصدد لدينا دراسة لباحث أميركي متخصص في الإعلام حول صورة العرب السلبية في السينما هو جاك شاهين الأمريكي الجنسية العربي الأصل حصر فيها ما يربو علي تسعمئة فيلم كرستها هوليود وحدها لتشويه صورة العرب ، وتبث من خلالها في وعي رواد السينما أن كل العرب مسلمون و كل المسلمين عرب ، وأنهم يتمتعون بحقد كبير تجاه الآخر ، وتملأهم الكراهية ، وهم قساة غير متحضرين ، إنهم متطرفون دينيا ، ويقومون بخطف النساء واغتصاب العذاري[١]. تلك الصورة الشائهة سنعرض لها لاحقا. غير أننا نسجل هنا موقف متعمد يبعث خوفا حقيقيا في نفس أي مؤرخ من الفيلم التاريخي ورسالته. وبالتالي لا يمكن لمؤرخ التغاضي عن موضوع الفيلم أو تجاهله ذلك أن الفيلم التاريخي يلعب دورا مؤثرا بشكل استثنائي وقوي في تشكيل ثقافة فهم الماضي ، وهو تأثير لا يستمد فقط من قدرة السينما التي لا تضاهي علي إعادة خلق الماضي في شكل محسوس محاكي ، ولكن أيضا قدرتها علي إثارة النقد والجدل الجمعي بشكل يتردد صداه علي الصعيد العام[٢]. أو بمعني آخر تشكيل رأي عام تجاه حقبة بعينها وشخوصا بذاتهم إيجابا كان أم سلبا.

ظل الجدل إذن قائما حول موقف المؤرخين من الفيلم التاريخي إلا أنه حدث تحول في الموقف في العقود الأخيرة. فقد أيقن المؤرخون أن الطلاب والجمهور يحصلون علي معلوماتهم عن الماضي من خلال الفيلم التاريخي[٣] مما استلزم معه

---

(١) انظر: JACK G. SHAHEEN, «Reel Bad Arabs : How Hollywood Vilifies a People», in *The Annals of the American Academy of Political and Social Science,* Vol. 588, p.71; *Islam, Enduring Myths and Changing Realities* (Jul., 2003), pp.171-193.

(2) ROBERT BURGOYNE, *The Hollywood Historical Film*, p.1.

(3) ROBERT BRENT TOPLIN and JASON EUDY, «The Historian Encounters Film: A Historiography, OAH Magazine of History», Vol. 16, No. 4, *Film and History* (Summer, 2002), pp.7-12.

ضرورة حدوث تقارب لمعالجة الأمر. حدث ذلك علي الأقل في موقف المؤرخين الأمريكيين فيما يقدم عن التاريخ سينمائيا حيث أخذ مئات من المؤرخين يشاركون علي الأقل هامشيا في عملية صنع الفيلم وصار بعضهم يعمل كمستشار في مشاريع الأفلام (درامية وثائقية) برعاية الصندوق الوطني الأمريكي للعلوم الإنسانية ، غير أن الأمر بقي استشاريا ، بينما بدأ مؤرخون آخرون العمل والتحدث في أفلام وثائقية بحته والنظر إلي الفيلم التاريخي باعتباره وسيلة لاستكشاف طريقة يمكن بها معرفة مايعني الماضي بالنسبة لهم اليوم[١] ، وهنا يثور تساؤل حول ماهية الفيلم التاريخي ؟ وعلينا قبل التعريف بالفيلم التاريخي أن نميز بينه وبين مصطلح مشابه يحدث نوعا من الخلط ، وهو ما يقال عنه فيلما تاريخيا فالأخير يقصد به احتلال الفيلم مكانة هامة في تاريخ السينما بينما الأول هو فيلم يتعلق بالتاريخ يقدمه بشكل درامي أو وثائقي أو تعليمي أو سيرة حياة وقد أورد لنا ذلك التقسيم المؤرخ روبرت روزنستون والذي يستطرد قائلا : إذا نحن قلنا «الفيلم التاريخي» لعل أول ما يتبادر إلي الذهن فيلم الدراما التاريخية ، وهو ما تقدمه الشاشه من قصص تاريخية سواء في الولايات المتحدة أو انجلترا أو فرنسا وغيرها من الدول[٢].

وفيما يخص تعريف الفيلم التاريخي حال كونه دراما تاريخية ففي اعتقادي أن ماذهب إليه المؤرخ الكبير دكتور قاسم عبده قاسم[٣] من تعريف له هو التعريف المناسب حيث يقول : «بداية ينبغى أن أشير إلى أن هذا التعريف لايستند إلى أي

---

(1) ROBERT A. ROSENSTONE, *The Historical Film as Real History*, p.1.

(2) ROBERT A. ROSENSTONE, *Op., Cit.*, p.3.

(٣) هل هناك أفلاما تاريخية عربية ، نشرت عن طريق دار عين في ٢٣ يوليو ٢٠١٤.

http://www.dar-ein.com/articles/62/%D9%87%D9%84-%D9%87%D9%86%D8%A7%D9%83-%D8%A3%D9%81%D9%84%D8%A7%D9%85-%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE%D9%8A%D8%A9-%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9%D8%9F-%D8%A8%D9%82%D9%84%D9%85-%D8%AF-%D9%82/

تعريفات «معلبة» أو «جاهزة» ، وإنما هو اجتهاد شخصى بحت. فالفيلم التاريخى في ظنى عمل فنى يتخذ من التاريخ موضوعًا له؛ وقد يكون الموضوع التاريخى الذي يدور حوله الفيلم حدثًا تاريخيًا مهمًا ، أو شخصية تاريخية ، أو ظاهرة تاريخية ، وفى هذا العمل الفنى يتضافر الفن الدرامى مع الواقع التاريخى لإنتاج العمل الذي يحمل إبداع كاتب السيناريو ، القائم على مادة تاريخية أعدها مؤرخون يعرفون موضوعهم معرفة جيدة ، ومن خلال الرؤية الفنية للمخرج ، ومهارات الممثلين ، وإبداعات الموسيقى وتقنيات الصوت ، وفنون التصوير... وما إلى ذلك يخرج الفيلم التاريخى».

استشعر المؤرخ أن دوره إذن حيال الفيلم التاريخي هو متابعة الدقة في تقديم التاريخ سينمائيا لقد أبدي المورخون قلقهم من مثل تلك الأفلام التي تشوه الماضي وهي تزور التاريخ بتحويلها الشخصيات الهامة والأحداث والحركات الكبري إلي شئ خيالي تافه أورومانسي. ولا شك أن قيمة العمل السينمائي تكون أقوي في مصداقيته وجديته مع توافر شئ من الصنعة فيه لتحقيق الصدق الفني الذي يرومه كل من كاتب السيناريو والمخرج وغيرهما وإذا كان لهم حق في الابتكار والإبداع من خيالهم لتحقيق الصدق الفني في عملهم فلا يجوز لهم العبث بالصدق التاريخي بحجة الحفاظ علي الصدق الفني. وهذا المسموح به والمنهي عنه يعود في الأساس إلي حقيقة أن القائمين علي الفيلم قد اختاروا التاريخ ميدانا لعملهم ، وما داموا قد اختاروا التاريخ فعليهم الالتزام بحقائقه. ولا يفهم من هذا أن يتحول الفيلم إلي محاضرة أكاديمية مملة ، فالتاريخ دراما في حد ذاته يجب الإستفادة من أحداثه وشخوصه في العمل الفني كما يمكن ابتكار شخصيات درامية غير تاريخية لخدمة الغرض الفني للفيلم دون الإخلال بالصدق التاريخي[1].

---

(١) قاسم عبده قاسم : هل هناك أفلاما تاريخية عربية ، نشرت عن طريق دار عين في ٢٣ يوليو ٢٠١٤. =

ويذهب في هذا الاتجاه المؤرخ «ديشباند» متسائلا ماذا عن الفيلم التاريخي الذي يخيل التاريخ؟ مبينا أنه يجب أن يكون مفهوما أن كل الأفلام التاريخية خيالية بنسبة ما قلت أو كثرت وإن لم تكن كذلك فسوف تبعث في المشاهد مللا مميتا، ولن تحقق شيئا في شباك التذاكر. فبدون أن يلعب الخيال دورا، وبدون شخصيات خيالية واختراع أحداث طفيفة واستجابات عاطفية من الشخصيات التاريخية لا يمكن صناعة الفيلم ،وفي المقابل يبقي عند المؤرخ في نقده سؤال حول صحة المنتج السينمائي[١].

لنتفق إذن أن هناك نسبة ما من الخيال أيا ما كان قدرها ففي ظني المتواضع أن علي المؤرخ واجب التحقق من أنها لا تضر بالصورة التي يمكن أن تتكون لدي رواد السينما حول فهمهم للماضي.

ويبدو أن المؤرخ روزنستون والعاشق للأفلام التاريخية بعد تكرار دعوته للمؤرخين بضرورة العمل في حقل الفيلم السينمائي قد نحا منحا أخر لعله يظلم فيه التاريخ نوعا ما حيث يتسائل ما الفرق بين الخيال والتاريخ؟ وهو يري أن كلاهما يحكي قصصا لكن التاريخ يحكي قصة حقيقية حرفيا فهل هي نسخة مماثلة تماما لما حدث في الماضي؟ يجيب الرجل: علي الشاشة هي ليست كذلك، ولكن ماذا عن الصفحة المطبوعة هل هي حقيقة مؤكده؟ لا.. فكر بالأمر. ويمكنني القول هنا أن روزنستون قد تجاهل طبيعة صفات المؤرخ وأدواته[٢].

= http://www.dar-ein.com/articles/62/%D9%87%D9%84-%D9%87%D9%86%D8%A7%D9%83-%D8%A3%D9%81%D9%84%D8%A7%D9%85-%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE%D9%8A%D8%A9-%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9%D8%9F-%D8%A8%D9%82%D9%84%D9%85-%D8%AF-%D9%82/

(1) ANIRUDH DESPANDE, «Films as Historical sources or Alternative History», in *Economic and Political Weekly*, 2, 2004, p.4455.

(2) ROBERT A. ROSENSTONE, *The historical film as real history*.

أيا ما كان الأمر ، لنتفق أن هناك في الفيلم التاريخي نسبة ما من الخيال ، أيا ما كان قدرها ، مع ضرورة الحرص علي ألا تضر بالصدق التاريخي وهذا يقودنا إلي موضوعنا صورة البطل التاريخي صلاح الدين من خلال الأعمال السينمائية التي تناولته في الغرب.

سنتناول صورة السلطان صلاح الدين ـ بشكل أساسي ـ من خلال فيلمين ، انتج الأول في القرن الماضي وبالتحديد في عام ١٩٣٥ بعنوان الحروب الصليبية للمخرج المعروف سيسل دي ميل بينما انتج الثاني في بداية القرن الحالي وبالتحديد في عام ٢٠٠٥ باسم مملكة السماء للمخرج ريدلي سكوت ، وإن كانت هناك أفلاما أخري اتخذت من الحروب الصليبية موضوعا لها مثل فيلم ريتشارد قلب الأسد والحروب الصليبية ١٩٤٥ وهو فيلم أجنبي ردئ المستوي وفيلم الناصر صلاح الدين وهو فيلم عربي انتج في مصر ، يمكن لنا العرض لها وتبين الصورة بشكل سريع .

وفيما يتعلق بالفيلم الأول «الحروب الصليبية» :

The Crusades

تجدر الإشارة هنا إلي أن التسمية التي أطلقها المخرج سيسل دي ميل علي فيلمه «الحروب الصليبية» قد جاءت مضللة ، فالفيلم لم يتناول الحروب الصليبية بشكل كامل حيث لا يستطيع أي مخرج أن يعرض لها في فيلم واحد مهما كانت ساعات العرض وعلي الرغم من طول المدي الزمني الذي استغرق أكثر من ساعتين فإن الفيلم تناول الحملة الصليبية الثالثة فقط[1] والتي ضمت الإمبراطور الألماني

---

(1) ALEX VON TUNZELMANN, *Reel history: Richard and Saladin compare swords in The Crusades,* The guardian, Wednesday 4 November 2015.

اليكس فون تانزلمان هي مؤرخة انجليزية عملت علي تبين الحقيقة التاريخية في الأفلام التاريخية وكتب الكثير من المراجعات في هذا الشأن.

فردريك باربا روسا والذي تحركت قواته باتجاه الشرق في الحادي عشر من مايو ١١٨٩ والذي لقي حتفه غرقا في أحد أنهار آسيا الصغري قبل أن يصل إلي بيت المقدس، كما ضمت ريتشارالأول ملك انجلتر(قلب الأسد) والملك فيليب أغسطس ملك فرنسا[١].

تبدأ قصة الفيلم منذ اللحظة التي استرد فيها صلاح الدين بيت المقدس، ومنذ المشهد الأول يمكن لنا تلمس طبيعة موقف الفيلم من العرب فهم يزدرون المقدسات ويرمون بالأناجيل ويلقون بالصليب من فوق قبة الصخرة وفي جانب آخر أحد النخاسة يبيع الفتيات الشقروات من بنات الفرنجة بمزا د يحضره بعض الأثرياء من راغبي المتعة صورة نمطية سلبية. كما تعطي المشاهد الأولي نفس الإنطباع السلبي عن صلاح الدين، الذي يدخل بيت المقدس وقد ملأه الزهو، الطبول تدق أمام موكبه الحافل بمظاهر الأبهة التي تفوق الخيال، ويسجد المسلمون تحت أقدامه وكأننا نشاهد مشهد من مشاهد ألف ليلة، وكأن صلاح الدين ليس بشرا عاديا صورة لتأليه الرجل تكونت في عقل سيسل دي ميل ولم يعرفها العرب ولا يقبل بها صلاح الدين المتدين . وتناديه امرأة مولولة بشأن ابن فقدته فلا يأبه لها !!. وفجأة يبرز أمامه أحد النساك مهددا إياه أنه سيذهب إلي أوربا ليدعو ملوكها لحمل الصليب من أجل المدينة المقدسة وكأن المملكة لم ترسل أحدا لطلب النجدات من البابوية وملوك أوربا. مشاهد غير حقيقة بشكل صادم.

يتحول الفيلم للحديث عن شخصية الملك ريتشارد بوصول أحد الدعاة إليه داعيا إياه لحمل الصليب واسترداد المدينة المقدسة ويستجيب ريتشارد علي الفور. لقد وجد ريتشارد في الأمر فرصته للخلاص من خطيبته أليس أخت فيليب ملك فرنسا التي كانت علي علاقة بأبيه هنري الثاني (تناول فيلم الأسد في الشتاء هذا

---

(١) قاسم عبده قاسم : ماهية الحروب الصليبية، الكويت ـ عالم المعرفة، العدد ١٤٩، ١٩٩٠، ص ١٤٩.

الموضوع بشكل موسع) يرحل ريتشارد ومعه فيليب ولحاجة جيش ريتشارد للمؤن يتزوج برنجاريا ابنة ملك نافار. وكأن زواجه صفقه و لم يتم عن استحسان للأميرة عندما شاهدها في ضيافته أمه التي سعت بكل جهدها أن يتزوجها ، وقد أرسلتها عقب خروج الحملة مع ابنتها لتلحق به .

بوصول رجال الحملة إلي عكا تبدأ مجموعة من الأحداث المتخيلة حيث تقع برنجاريا المصابة بسهم في يد صلاح الدين الذي يشكر الله أن وقع هذا الصيد بين ذراعيه لكنه يعالجها دون أن يمسها بسوء . يسعي ريتشارد جاهدا لتحرير برنجاريا وعندما تعود برنجاريا تحكي عن موكب صلاح الدين الذي يرتدي عباءة زاهية ويعتلي جواد مطهم وحوله رجال أشداء وأنه ليس له قرون كقرون الشيطان ، كما تصوره الصليبيون. وأنه لم يمسها بسوء كما ظن ريتشارد ، وأنه يدعو إلي السلام بل يخبر ريتشارد أنه بإمكانه أن يعطيه القدس إن دخل الإسلام ـ يتجاهل الفيلم المفاوضات ـ وإن أشار إلي موضوع عرض زواج أخت ريتشارد من أخي السلطان صلاح الدين. وتقرب برنجاريا بين صلاح الدين وريتشارد حتى يقبل بالصلح والذي أنهي الصراع وأحل السلام بين الصليبيين والمسلمين وخروج في مشهد أخير للحجاج من القدس إلي الساحل[1].

من خلال هذا العرض السريع لحبكة الفيلم وموضوعه نجد أن الفيلم عجز عن تحقيق التوازن بين الحقيقة والخيال بل تخطي الخيال الحقيقة بشكل كبير . كما أساء إلي صورة المسلمين بشكل عام وصورة صلاح الدين بشكل خاص فهو متغطرس شهواني. والواقع أن صلاح الدين لم يلتق برنجاريا أو ريتشارد علي وجه الإطلاق ، برنجاريا التي يصورها الفيلم علي أنها داعية سلام عندما ألقت سؤالها علي مسامع ريتشارد ماذا يضير أن ندعوه الله أو الرب ؟ هل يتقاتل الرجال لأنهم يسلكون طرقا مختلفة إليه ؟

---

(1) Alex von Tunzelmann, *Op.Cit.*

كيف إذن لإمرأة لم تلتق السلطان أن تسعي لعقد صلح بينه وبين ريتشارد. لقد ظلت برنجاريا ومنذ اللحظة الأولي لوصول ريتشارد إلي عكا مقيمة بالمدينة لم تغادرها إلي أن عادت بعد عودة ريتشارد إلي أوربا بوقت قليل.

أيا ما كانت الأخطاء التي حملها الفيلم تاريخيا ، فإنه يحمل رسالة تدعو إلي السلام ، في وقت كانت فيه الولايات المتحدة والعالم علي أبواب حرب عالمية جديدة.

Kingdom of heaven مملكة السماء

يعد فيلم مملكة السماء من الأفلام التاريخية الجيدة بحق ، ولا غرو في ذلك فمخرجه ريدلي سكوت البريطاني الأصل ذا دربة بهاتيك النوعية من الأفلام حيث أخرج من قبل فيلم المصارع وهو عن رواية للكاتب سير والتر سكوت (لاصلة بين المخرج والكاتب) وللمرة الثانية يختار المخرج رواية لنفس المؤلف هي رواية «الطلسم»[١] لتكون أساس الفيلم الذي نعرض له الآن باسم «مملكة السماء» وهي نفس الرواية التي اختارها سيسل دي ميل من قبل لفيلمه الحروب الصليبية لتختلف طريقة المعالجة السينمائية بعد أمد طويل من السنين.

جاء التفكير في العمل في مناخ مضطرب ومع البدايات المبكرة للألفية الثالثة ، في ظل ظروف انعكس فيها حادث تفجير برجي التجارة العالمية في نيويورك علي تصريحات الرئيس الأمريكي جورج بوش وعبارته الشهيرة أنها عملية تستلزم صليبية جديدة وهذا المصطلح ـ في تصورنا ـ لا يعني أكثر من استلهام الروح

---

[١] رواية كتبها والتر سكوت عام ١٨٢٥ تقدم ريتشارد الأول في صورة البطل الرومانسي وقادت إلي إحياء شعبيته في القرن التاسع عشر بين أوساط الشعراء والرومانسيين ، انظر : حملة ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة ، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة سهيل ذكار ، دمشق ـ دار الفكر ١٩٩٨، ٣١: مقدمة الترجمة ٧٩٩ـ٨٠٠.

الصليبية في مواجهة ما حدث غير إن الأمر مثل مشكلة عاصفة فالمصطلح يثير في الذاكرة التاريخية للمسلمين صورة أولئك الجياع الأفظاظ المتعطشون للدماء وما ارتكب مذابح و من سلب ونهب مع مجئ الصليبية الأولي عند استيلائهم علي مدينة القدس[١].

وأيا ما كان الأمر فإن ريدلي سكوت وخاصة عقب مهاجمة العراق عام ٢٠٠٣ فكر تماما في صليبية جديدة ليست كتلك التي دعا إليها البابا اربان الثاني في التاسع والعشرين من نوفمبر العام ١٠٩٥ في كليرمونت بفرنسا وإنما من خلال عمل سينمائي يدرس جوانب العلاقة بين المسحيين والمسلمين ،عمل أخلاقي لا تشوبه شابه وبشكل متحرر[٢].

ويذكر كاتب السيناريو وليم موهانأن أن الفيلم يقترح أنه من الأفضل أن نعيش معا بدلا من أن نكون في حالة حرب. وهذا أفضل من التعصب وأن المودة أفضل من الكراهية.

وقد جاء العمل ملحميا ضخما و حظي بميزانية ضخمة ، وكان مقاربا للحقيقة التاريخية من حيث الصورة التي قدم بها أشخاص فيلمه والأبطال الذين

---

(١) عن تلك المذابح انظر : فوشيه الشارتري : الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ترجمة د. قاسم عبده قاسم ، القاهرة ـ دار الشروق ٢٠٠١، ١٣٧، كما تناول د.حاتم الطحاوي الموضوع تفصيلا في مقالة له بعنوان : فعلوها قبل اليهود: الصليبون يستولون علي القدس ، مقالات دار عين ٢٠١٤.

http://www.dar-ein.com/articles/373/%D9%81%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%87%D8%A7-%D9%82%D8%A8%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%8A%D9%87%D9%88%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%84%D9%8A%D8%A8%D9%8A%D9%88%D9%86-%D9%8A%D8%B3%D8%AA%D9%88%D9%84%D9%88%D9%86-%D8%B9/

(2) JEFFREY RICHARDS, *Sir Ridley Scott and the Rebirth of the Historical Epic, in The Return of the Epic Film*, ed. Andrew B. R. Elliott Published by: Edinburgh University Press. (2014), p.20.

سيجسدون تلك الشخصيات وقد استغرق بحثه عنهم وقتا طويلا لتناسب الفيلم كما حرص علي أن تكون صورة مدينة القدس مشابهة لما كانت عليه زمن الأحداث التي يتناولها موضوع الفيلم، وغير ذلك كثير وقد استعان ريدلي سكوت بسيناريست متميز في حرفته هو وليم مونهان والذي بذل جهدا في البحث في صفحات التاريخ ويبدو ـ كما ورد في كلامه ـ أن عمله كان انتقائيا ولا يبدو الأمر معيبا في رأيه ذلك أنه ذكر «بالنسبة لكاتب مبدع يتعامل مع التاريخ فإن الطريقة المثلي هي أن إقرأ كل شيء ثم استخدم ما تحتاج.. لا يتوقع أحد أن يكون المسرح أو الشاشة تاريخا. وأن الصورة التاريخية لن تكون هي الحقيقة التاريخية»[1]. وأظن أن ذلك يتفق مع تعريف المؤرخ الكبير د.قاسم عبده قاسم عندما عبر عن ذلك فيما يخص الصدق الفني والصدق التاريخي لا ينبغي أن يجيء أيا منهما علي حساب الآخر.

تبدأ أحداث الفيلم من العام ١١٨٠م وتستمر عبر السنوات الأخيرة من تاريخ المملكة الصليبية في القدس تلك الأحداث التي بلغت ذروتها باستسلام المدينة عام ١١٨٧م، عقب هزيمة حطين. جميع الشخصيات الرائدة في الفيلم حقيقية عدا جودفري من ابلين وفارس الاسبتارية الذين ابتكرت شخصيتهما لغرض فني.

ويروي الفيلم قصة غير حقيقة حول جودفري من ابلين (ليام نيسون) وهو في طريق عودته إلي القدس الذي يتوقف في فرنسا لدعوة ابنه الحداد باليان (أورلاندو بلوم) للذهاب معه مقنعا إياه قائلا «هناك يمكن للمرء أن يغير حظه، هناك أنت ليس كما نشأت بل كما تود أن تكون». «هناك من ليس له مأوي في فرنسا يصبح سيد مدينة» وهو نفس التصور الذي بعث به أوربان الثاني إلي عقول مستمعيه وهو يدعوهم إلي الصليبية. البحث عن الثروة ولو بسفك الدماء. أنه العالم الجديد. لقد

---

(1) JEFFREY RICHARDS, *Op. Cit.*, p.25.

وصل باليان في زمن كانت المملكة تمتع فيه بالسلام ويعد العصر الذهبي للتسامح بين المسلمين والمسيحيين ويمكن لأي انسان يأتي او يذهب بسلام لوجود معاهدة للسلام بين الطرفين غير أن الأمور تبدلت تماما بموت الملك بلدوين الرابع الملك المجذوم ، فقد قام الداوية بشن هجوم علي المسلمين مما دفع صلاح الدين إلي ان يقود حربا عليهم . صار باليان مدافعا عن المدينة المقدسة وسلم المدينة في النهاية لصلاح الدين متحاشيا بذلك سفك الدماء. ما يريد سكوت إيصاله لمشاهديه هو أن معظم المسلمين والمسيحيين يمكنهم العيش بسلام طالما انتفي التعصب علي كلا الجانبين. وما يهمنا في هذا الخصوص صورة صلاح الدين وقد برزت الصورة بكل وضوح في حوار بين باليان وصلاح الدين حيث هدد باليان صلاح الدين بأنه مقابل كل مسيحي يقتل عشرة من جندك سأحرق المدينة كاملة بما فيها من مقدسات ونخلص العالم من الحروب لكن رد صلاح الدين بحكمة سيموت الأطفال والنساء بسبب الجثث المتعفنه أقسم لك الا يؤذي أو يسرق يذكره باليان بأن الصليبيين الأوائل فتكوا بالمسلمين وذبحوهم بلا رحمة علي اسوار القدس. فيرد عليه صلاح الدين لست مثل أولئك الرجال أنا صلاح الدين . عندها قام باليان بتسليم المدينة للسلطان. نص الاسكريبت في مسودته الأصلية) في الملاحق.

لقد أثار هذا المشهد بصفة خاصة حنق بعض المؤرخين الغربيين ومنهم المؤرخ توماس مادن الذي يتحدث عن الفيلم قائلا لست ناقدا سينمائيا ولكنه بالفعل تحدث كناقد ومؤرخ معا[1]. فالمشهد يظهر الحقيقة التاريخية وصورة صلاح الدين كما حدث بالفعل : العفو عن سكان المدينة وخروجهم آمنين وأيضا مقارنة بين المذابح التي ارتكبها صليبيوا الحملة الصليبية الأولي عند دخولهم المدينة وتسامح صلاح الدين مع الصليبيين عند استلامه المدينة والواقع أنه لا توجد أفلام عالجت

(1) Thomas madden, *National review*, may 7. 2005.

الحملة الصليبية الأولي سوي فيلم وحيد لم يعرض لما ارتكبه الصليبيون من مجازر وجرائم لا شك أنها تمثل جرائم حرب بكل المعاني بل أن الفيلم صور رجال الصليبية عند دخولهم القدس علي انهم متسامحون عفوا عن سكانها المسلمين. وهو فيلم (Gerusalemme Liberata) The Mighty Crusaders.

عرضنا فيما سبق لثلاثة أفلام انتجتها السينما الغربية أو علي وجه الدقة هوليوود جاءت صورة صلاح الدين في الفيلم الأول الحروب الصليبية سلبية بشكل يدعو للأسي ، فلم يسعي صانعو الفيلم إلي الصدق التاريخي بل أضاعوه علي حساب الصدق الفني ورغم ضخامة الإنتاج وتكاليفه المالية الباهظة بدا الفيلم وكأننا أمام رواية من روايات ألف ليلة وليلة ويعكس الفيلم صورة متدنية لصلاح الدين بشكل يشكك المشاهد المثقف فيما يراه من أحداث تبدو كلها مخترعة.

ومهما يكن من أمر ، يبقي فيلم مملكة السماء أفضل تلك الأفلام التي تناولت شخصية صلاح الدين بشكل صادق ومحترم وجاءة صورته مقاربة لما جاءعنه في المصادر والمراجعع العربية . تلك إذن صورة صلاح الدين في السينما الغربية وقد أعطته أحد افلامها مؤخرا بعضا مما يستحق كمحارب شريف يسعي إلي تحقيق ما عقد العزم عليه من تطهير البلاد من الوجود الصليبي بنبل ونزاهة كما كان متسامحا في تعامله مع الآخر. لم يكن متعطشا للدماء بل ساعيا إلي السلام وهي صورة أبرزها فيلم جنة السماء.

الفيلم الثالث هو «ريتشارد قلب الأسد والصليبيون»

Richard the Lion Heart and Crusaders

يستقي هذا الفيلم أيضا مادته من رواية والتر سكوت «الطلسم» ويبدو أننا أمام ثلاثية معكوسة فبدلا من مؤلف واحد وثلاثة روايات نحن أمام رواية واحدة وثلاثة أفلام . والفيلم ذي عنوان مضلل فهو عن فارس يدعي كينت من اسكتلندا ويبدو

كملاك حارس مصاحب لريتشارد ولذا يتناول الفيلم مغامرات ذلك الفارس والتي تشبه حكايا فرسان العصور الوسطي ، كان كيث يمتلك كلبا غريبا ويمتلك أيضا قلبا رومانسيا استطاع بواسطة كلبه أن يحمي ريتشارد من مؤامرات اعدائه كما استطاع قلبه أن يأسر قلب شابة جميلة هي ابنة عم ريتشارد . رفض ريتشارد تلك العلاقة فالفتاة أميرة وهو فارس بسيط الحال. ولأن الفيلم يشبه حكايا الأطفال دعنا نقول أنه في ذات يوم خرج ريتشارد إلي الصحراء فقذفه المتآمرون بسهم مسموم وأسرع كينث يجلب طبيبا فيأتي طبيب صلاح الدين في ثياب صفراء ويضع علي رأسه غطاء مماثل لغطاء اليهود ويعالج ريتشارد وبعد عداء صارا أصدقاء . تصارع كيث مع ريتشارد وكاد أن يقتله بسبب غرامه لكن الطبيب أنقذه ليطرده ريتشارد إلي الصحراء وفي الصحراء يجد خيمة ورقصا والطبيب جالس بين الجواري هنا تحدث المفاجأة يخبر الطبيب الفارس كيت بأنه السلطان صلاح الدين ويرجو منه خدمة هي السلام مع ريتشارد.

تلك حبكة الفيلم الذي يصنف ضمن الأفلام التاريخية وهو بعيد عنها كل البعد وهو أسوأ فيلم في إطار ذلك التصنيف.

فبنظرة فاحصة نجد أن الفيلم أساء إلي كل من ريتشارد الذين أرادوا إظهاره علي أن بطل صليبي لا يباري وهو غير قادر علي حماية نفسه. لكن الجريمة الأكبر جاءت في حق صلاح الدين فهو شخص محتال يتخفي في شكل طبيب كما أنه إنسان فاسق يلهو ويعقد حلقات الرقص بدلا من حلقات العلم والموضوع المشترك بين الأفلام الثلاثة هو السلام وفق مفهوم سير والتر سكوت .

أيا ما كان الأمر، بدا الفيلم مهلهلا بلا موضوع فظهر كمجموعة أحداث بلا رابط سوي شخصية كيث ومن المشاهد التي تدلل علي جهل القائمين علي صناعة الفيلم والتي لفتت انتباهي كمشاهد له هي مشهد الصلاة فالمؤذن يؤذن والكل ساجد هو يبدأ الآذن فيسجد المصلون ويكمل آذانه لم يكلف كاتب

السيناريو نفسه عناء معرفة كيفية الصلاة .

إن الجهل بالآخر لايعني العداوة تجاهه أو إقصائه أو الإساءة لصورته .

والسؤال الآن إذا كنا نبحث عن صورة صلاح الدين الأيوبي في السينما الغربية فكيف الحال عن صورته في السينما العربية ؟ وبمعني آخر إذا كنا نحاسب السينما الغربية عن صورة صلاح الدين فلما لا يكون الأمر كذلك بالنسبة للسينما العربية ؟

يبدو الأمر فيما قدم عن صلاح الدين الأيوبي في السينما العربية من أفلام مدعاة للدهشة فما قدم عنه محدودا ففي عام ١٩٤١ تم انتاج فيلم متواضع المستوي من إخراج بدر لاما عن السلطان صلاح الدين الأيوبي وهو بعيد تماما عن التاريخ .. غير أن المخرج المصري يوسف شاهين قام بتقديمه في فيلم لازال يحتل الذاكرة وهو «الناصر صلاح الدين» ويمكن لنا أن نري رؤية جادة عن شخصية صلاح الدين وصورته كبطل تاريخي كما يمكن تصنيف الفيلم كفيلم تاريخي بيد أنه أنتج لغرض سياسي قومي غير أن ذلك لا يعني أنه بالإمكان تصنيفه كفيلم سياسي.

كانت القومية العربية من أولويات الرئيس المصري جمال عبد الناصر البطل القومي الساعي إلي الوحدة العربية في تلك الفترة من تاريخ مصر وقد ربط الكثير من النقاد بين اسم الفيلم الناصر وبين عبدالناصر من ناحية وبين سياسة صلاح الدين في توحيد الجبهة الاسلامية العربية في مواجهة الوجود الصليبي ويقابل ذلك جهد عبد الناصر في توحيد العرب لمجابهة الوجود الصهيوني من ناحية أخري. والواقع أن مصر في بداية الستينات تميزت بتطورين هامين هما : تشكل مفهوم الإشتراكية العربية بجهد من قبل عبد الناصر و ظهوره كرمز وزعيم يسعي للوحدة العربية[1].

---

(1) ROY ARMES, «Youssef Chahine and egyptian cinema. Framework», *The Journal of Cinema and Media*, No.14 (SPRING 1981), pp.12-15 Published by: Drake Stutesman; Wayne State University Press, p.14.

ومما تجدر الإشارة إليه أن كان مخططا للفيلم منذ البداية أن يكون فيلما ملحميا لأنه ولأول مرة سيقدم للمشاهد وجهة نظر عربية عن الحروب الصليبية وثقافتنا تجاه «الآخر»[١].

ويعد الفيلم من وجهة نظر تاريخية محاولة ناجحة في حقبة تاريخية هامة من تاريخنا الحديث ، فالفيلم يقدم شخصية صلاح الدين الأيوبي في صورة ودية فهو حاكم عادل يعكس رحمة غير مسبوقة تجاه أعدائه،كما أظهر الفيلم الوفاق بين المسلمين والمسيحيين في الشرق وهو مايمثل الوحدة الوطنية حيث حرص شاهين علي التأكيد أن جيش صلاح الدين كان يضم مسلمين ومسيحيين وأنه حرص علي تهنئة أحدهم وهو عيسي العوام وكل المسيحيين في معسكره بالعيد «أهنأتم أخاكم عيسي وإخوانكم المسيحيين بعيد ميلاد السيد المسيح ؟» وبذا يركز شاهين علي سماحة الدين الإسلامي كعقيدة إيمانية تحترم كل الديانات[٢]. والأهم من ذلك كان التفاهم بخصوص السلام بين صلاح الدين وريتشارد مضيئا لصورة صلاح الدين المتسامح النبيل[٣].

وفيما يتعلق بأبطال الفيلم كان يوسف شاهين حريصا علي نجاح الفيلم جماهيرا وفنيا، غير أنه تنازل عن طريقته المعهودة في اختيار الممثلين ربما في تلك المرة فهو عادة ما يختار لبطولة أفلامه شخصيات ربما تكون تلك تجربتهم الأولي في عالم السينما ، فقد استعان في هذا العمل بنجوم الشباك علي سبيل المثال ، الممثل أحمد مظهر صاحب الصورة الرومانسية في عالم السينما.وفي تصوري المتواضع أن أحمد مظهر أدي الدور ببراعة فهو شخصية جادة وفارس يجيد ركوب الخيل ومتمكن

---

(1) MOUREE KIERNAN, *Cultural Hegemony and National Film Language: Yossef Chahine*, p.135.

(2) ROY ARMES, «Youssef Chahine and egyptian cinema. Framework», p.14.

(3) MOUREE KIERNAN, *Op.Cit.*, p.137.

في مجاله وكان أقرب للصورة التي كان عليها صلاح الدين في الحقيقة ، وإن قام البعض بالمقارنة بينه وبين الفنان غسان مسعود الذي أدي دور صلاح الدين في فيلم مملكة السماء ذلك الفنان السوري الذي دافع عن انجازه في رسم شخصية صلاح الدين وقارنه بدوره بأفلام عربية أخري وكأنه خال من العيوب[1].

الخلاصـــة

مما تقدم يمكن القول أن السينما بما تقدم من أفلام تاريخية قد تسلب المشاهد حقه في المعرفة التاريخية الدقيقة وخطورة ذلك هو انتشار أمية المعرفة التاريخية.

كما تتمثل خطورة الأفلام التاريخية في قدرتها علي محاكاة الماضي بشخوصه وأسلوب حياتهم وتكون مصدرا للمتعة والمعرفة وتشكيل مفهوم الناس للماضي.

قدرة الفيلم التاريخي علي قولبة الأشخاص وتنميطهم وتغيير صورتهم عن الأصل فيكون العمل مسفها لشخصيات لها قدرها.

أن صورة صلاح الدين في السينما الغربية مشوهة بشكل مقصود وكان علينا أن ننتظر من عام ١٩٣٥ وحتي ٢٠٠٥ لتتبدل الصورة وتكون عادلة بشكل ما فيما تعكسه عن ذلك البطل صاحب التاريخ المجيد.

لاشك أن جهود صناع السينما العربية في مجال الفيلم التاريخي متواضعة للغاية تجاه تاريخنا بصفة عامة وتاريخ صلاح الدين بصفة خاصة .

كما أن المؤرخ العربي مطالب بتناول الأعمال التاريخية الفلمية عربية أوغربية بالنقد القائم علي منهج يمكن من الحكم علي ما يقدم الفيلم من حقائق مع اعطاء الخيال فسحة ليتوفر الصدق الفني،

---

(1) NICOLAS HYDOCK, «Movie Medievalism : The Imaginary», p.158.

الملاحـــق

نص الاسكريبت والحوار بين باليان وصلاح الدين في مشهد تسليم القدس

SALADIN

Your city is full of women, and children. There will be disease, soon, from the dead. If my army will die, and so will your city.

BALIAN (swallows, knowing that it is true) Do you offer terms? I ask none.

SALADIN walks apart. Long pause. Then he turns.

SALADIN I will give every soul safe-conduct to Christian lands. Every soul. The women, the children, the old, and all your knights and soldiers. Your Queen. Your King...

SALADIN (CONTD) No one will be robbed or harmed, I swear to God.

BALIAN The Christians butchered every Muslim within the walls when they took this city.

SALADIN I am not those men. I am Saladin.

BALIAN Then on these terms I surrender Jerusalem.[1]

---

[1] WILLIAM MONAHAN, *The kingdom of heaven*, Early Draft, p.120.